تفاوت المنظور أو التفاوت المنظوري

د. جمال الجزيري

لا توجد قصة بدون منظور يتم التقاط زاوية السرد بناء عليه. والمنظور عبارة عن العين التي يتم من خلالها سرد الحدث ولا يرتبط بالضرورة بالراوي. فقد يقوم الراوي بسرد الحدث من منظور شخصية أخرى إذا كان السرد بضمير الغائب. وقد ينقله من منظوره الخاص إذا كان السرد بضمير المتكلم. وحتى عندما يكون السرد يشتمل على راوٍ يتكلم بلسان نفسه ويسرد حدثا خاصا به أو به وبشخصية أخرى/شخصيات أخر يعيشون في العالم المتخيَّل الذي يقوم بسرد حدث أو أكثر منه، لا يعني أن المنظور خاص بالراوي الذي يقوم بالسرد. فالراوي الذي يقوم بالسرد بضمير المتكلم يتميز عن شخصيته التي يقوم بسرد ما يجري لها، فقد يقوم الراوي مثلا بسرد حدث مر به عندما كان صغيرا أو ينتمي لفترة زمنية سابقة على زمن السرد. وهنا لابد أن نميز بين منظور الشخصية بوصفها فاعلة في الحدث عندما كانت جزءا منه ومنظور الراوي بوصفه راويا يقوم بسرد متأخر لحدث حدث من قبل وكان جزءا منه باعتباره شخصية. فإذا قام الراوي بتحجيم منظوره وتضييقه بحيث يلتزم برؤية الشخصية للحدث ساعة حدوثه يلتزم الحياد ويتركنا – كقراء – لنرى الحدث من منظور الشخصية وهي تعيش الحدث من داخله. أما إذا أضاف الراوي خبرته اللاحقة ومداركه التي اتسعت

بناء على تأمل لاحق أو على معارف جديدة اكتسبها أو على تقيم لاحق للحدث الذي كان فيه شخصية، نجد أنفسنا هنا أمام منظور الراوي وليس أمام منظور الشخصية. وفي الحالة الأولى، يكون منظور الشخصية نقيا وداخليا فيما يتعلق بنفسها، وخارجيا فيما يتعلق بالشخصية أو الشخصيات الأخرى. وفي الحالة الثانية، يكون المنظور ذاتيا للراوي ولا يمت للشخصية بصلة، وتتبع الذاتية هنا من قيام الراوي بتحميل ما اكتسبه لاحقا من خبرات وتأويلات وتفسيرات وتأملات ومعارف على الشخصية التي لم تكن تمتلك كل ذلك ساعة انخراطها في الحدث.